المتسائل بنعم

قد لا يسمح الوقت بالتفكير؟ قالها وهو ينهى المقابلة، سرحت بعدها إلى ماذا يرمى بلهجته تلك الإسكندرانية، القرار قرارى فى النهاية وفوق ذلك فإن فريق العمل لدى له رأى أيضا، ربما يراهن على امتيازات فى باطن الموضوع لم الحظها من كلامه! دوائر متصلة ومتشعبة كنت أفضل لو أن نظيف أرسل شخصا آخر أكثر نظافة من هذا، أكثر صراحة ومباشرة لكنهم أرسلوه فى النهاية، كل مواصفاته أنه من داخل المطبخ يعرف بالقرارات قبل صدورها تنبهت إلى أنه شخص مهم وخطير وإن كانت شخصيته المتعجرفة لم تعجبنى بل إن ما يقوله خطير فعلا كانت اتصالاتى سريعة، الليلة اجتماع مهم للمكتب السياسى للحزب. لدينا عروض ينبغى أن نناقشها. لا، لا اعتذارات، الأمر عاجل، تركت السكرتارية لأمور الاعداد وانصرفت لغداء عمل معد مسبقا ولا يمكن إلغاؤه، إنه أحد الوزراء السابقين الذين اعتبرهم من دهاقين السياسة، تهلل وجهه حين برزت من خلف أحد الأعمدة القريبة منه دائما ما يحب الجلوس خلف ساتر، عاجلته بمد يدى بالمصافحة قال: حسبت أنك لن تأتى أو على الأقل تتأخر؟ أجبت: وهل هذا معقول، معاليك

وميعادك لهما قدسية خاصة لدي. القى كلماته بحذر: ربما لأن زائرك اليوم (طرش) العرض وانصرف سريعا. ركزت أنظارى على وجهه ثم قلت: معاليك على علم بأمور مهمة لم إذًا لم يحادثوننى فى التليفون بدلا من تلكم الرسل المستفزة؟ ضحك كاشفا عن تعاليه: المكالمات يتم تسجيلها لقد كنت كما تعلم متجسسا قديما، عموما انصحك بالقبول معاندا: القبول أو الرفض يتقرر فى اجتماع الهيئة التنفيذية الليلة، مستغربا مسلكي: معقول ألست رئيس الحزب يابدوى وكل الأمور مرجعها اليك، مع هزات من رأسى، نعم، نعم ولكن هذا أمر أكبر من سلطاتي، المشاركة فى الانتخابات من عدمها الثمن الذى سوف ادفعه شخصيا وقد أخسر بضعة ملايين، سمعتى السياسية، قاطعنى بلهجة أبويه لا تناسب كلينا: اغفر لى يا ولدى مرة أخرى، ما هى سلطاتك بالضبط إذا كان أمرا كهذا يخرج عنها، سامحنى فأنا من زمن المركزية فى الحكم!

- تقصد معاليك ديكتاتورية اتخاذ القرار فنحن كما تعلم سيادتكم لم نحكم حتى الآن أو حتى نشترك منذ أكثر من ثلاثين عاما، هرش بالأصابع جزءا من (صلعته): أقبل الأمر دون نقاش وفلسفة استشارة مجلسك هذا، فكلما كان عدد أقل يعلم بالاتفاقيات المعقودة من تحت الترابيزة كان ذلك أفيد لك ولنا.

-: والثمن الذى عليَّ أدفعه من مالى الخاص لشراء الدستور وفصل رئيس تحريرها وقد أسترد أو لا أسترد مالي أبدًا.

– هذه صفقة سوف لن تخسر شيئا يا بدوى أعدك بذلك ثم انظر من زاوية أخرى الدستور صحيفة وصوت ينضم لك فى المعركة الانتخابية (٢٠١٠) بل سوف يهلل لك أقطاب حزبك لانك تزيدهم قوة،

قاطعته ببطء التفكير : إذًا استشيرهم كما قلت لك ويكونون عليَّ علم بالأمر.

بحدة لا لا نريد أن يعلم أحد أو يتسرب الخبر قبل الانتهاء فعلا مما هو مطلوب منك محاولا السيطرة على رفضه: فات الوقت معالى الوزير فقد تركت أوامر بالاعداد لاجتماع الليلة

– فى تجهم: أنت تخاطر بافشال الموضوع هذا الأمر يجعلنا على الحافة وأنت تعلم أن ذلك ليس من السياسة فى شيء؟ قلت مندفعا: معاليك لم تسألنى عن التفاصيل حتى ترانى قبلت أو رفضت كل ما اردته استشارة اللجنة المركزية للحزب فالصفقة محيرة أيضا؟

–: لا حاجة لى بمعرفة التفاصيل يكفى ان أمين التنظيم عز يقيم تحالفا معك من الباطن (مقاول ومعتاد على ذلك)

– مندهشا: ضد من؟

– لا يهمك ضد من المهم أنه يدفع لك جزءا من رصيده الشعبى لتأخذ عددا من المقاعد التى للاخوانيين وسوف يساعدك على ذلك بجماهيريته،

- مستغربا قناعاته: نعم وهل له رصيد جماهيرى حقا ليدفع لى

- أحضر المترودوتيل القهوة وانتظر أوامرنا وحين انصرف عدت أقول: تعلم معاليك اننى غير رئيس الحزب السابق انتخبت ولم انتزع القيادة. أسرع يقول: لا تنزه نفسك فمعلوماتنا كافية عنك وهذا العرض لأنك غيره فكر فى القبول فالنفوذ لا يأتى بل هو ثمرة نضال ونجاة من السكتة السياسية ألا ترى كم خسرتم طوال العشرين سنة الماضية.

. كان الغداء يأخذ طريقه للمائدة توقف الكلام وانطلق فى رأسى طابور طويل من المعطيات، أجاد التلاعب بي، يعلم بكل تأكيد تفاصيل الاتفاق وهو ضالع فيه بشكل متكامل، لم يثر الموضوع من جديد احترم رغبته فى الوقوف عند هذا الحد والكرة فى شباكي: رفع رأسه بغتة: عيناك تفضح ما يدور فى سريرتك، الحافز غير واضح والمقابل شفهى ربما لا ينفذ عند صناديق الاقتراع. لم أفوت الفرصة هتفت: هو ذاك والله أنت تأخذها من طرف لساني. ضحك: هذه مراهقة سياسية لا تليق منك، لا أحد يحمل رسالة كهذه للعبث معك انه اتجاه مؤكد وأنت فارسه المختار؟

-: تخيفنى درجة تأكدك، انه ليس اسلوبك الحذر المحتاط.

رد: كان ذلك فى الماضى أما الان الأمر واضح للأعمي، أقبل هذه نصيحة سياسى عجوز عاصر كل الراحلين ويعرف الفرق

بينهم تماما! كان محقا فقد كان اشتراكيا وانفتاحيا وبرجماتيا وانغلاقيا لو لزم الأمر، إلا أنه تركنى حائرا أحاول الآن فهم إلى أين تلقى بى المتاهة، جاء ميعاد الاجتماع، الآن على الإقرار إنه عرض لا يرفض، جاء فى توقيت نموذجى والمخاطرة برفضه من واحد أو اثنين من الشماليل فى المجلس واردة ثم يتسرب الخبر وتفشل الصفقة، إنه على حق هذه المرة أيضا، السؤال الآن، هل أرد بعد الاجتماع فيظهر الأمر بالكذب على أننى أخذت موافقة سرية مع التزام الصمت التام أم قبله فأظهر كمن خضعت لطلبهم بل لإرغامهم إياى بالانفراد بالقرار، ترجلت من سيارتى الحمراء أمام الباب الخلفى وتسللت ليفاجأ الجميع بوجودى وسطهم بينما تلتقط أذناى كلمات من هنا وهمسات من هناك مضى المؤتمرون يناقشون الأمور العاجلة بسرعة وسط جو صارم متحفز، هناك من يتوقع أن أطرح أمر التفاهمات مع حكومة الوطنى اذ كلما تحدثت أشرأبت لى الاعناق وانصتت لى الآذان وجحظت العيون، كدت ابوح بالأمر أكثر من مرة وأخذ التصويت عليه جبنت على المخاطرة، اعاد سكرتير الجلسة تلاوة ما اتفقنا عليه من قرارات تعمد ان يذكر كلمة اننا متفقون مع الحكومة (أكثر من مرة) فى عدد من القضايا، كوتة المرأة أو تقسيم الدوائر. الخ، علق احدهم هازئا وبنبرة مستفزة: يعنى نحن فى مرحلة المهادنة والمصالح اللى بتتصالح؟ ودون وعى هززت رأسى هزات متوالية، انتهى الاجتماع وذهبت لمكتبى يتبعنى

عدد قليل من الانصار وقد انفض الجمع بصورة غير طبيعية، فى لحظة غيرت اتجاهى واخترقت الانصار، عائدا لصالة الاجتماعات الكبرى وكأنى نسيت بالقاعة شيئا لادخل الحمام الملحق بها، كان بالقرب من المبولة يتحدث من هاتفه بصوت واضح هادىء النبرات: لا لم يعرض الأمر على الهيئة التنفيذية؟ موضوعات عامة وشائكة ولم يأخذ أى تصويت، الشيء الوحيد الذى أبدى فيه موافقة غير مباشرة، نعم مازلنا فى مرحلة الغموض، انسحبت بخفة قط، الكلام واضح انهم ينتظرون الرد المباشر، الآن سوف انفرد بالقرار كما كانوا يريدون، اقنعت نفسى فالمطلوب منى بشكل شخصى وليس من الحزب، أى مطالب لا تعديل مواقف ولا تعاون، مازلنا حزب معارضة، الواضح اننى فى مأزق القرار الأصعب، مد الليل ارجله الخلفية لتجثم على صدري، سوف لن ينتظروا للنهاية، هناك تربيطات تتم سواء رفضت أو قبلت والواقع يفرض سلوكه عليَّ، أمسكت بالهاتف وحين بدت نبرات الطرف الآخر تلوت: نعم نعم أقبل نحن نقبل ذلك، نعم بالطبع، استشرت المقربين منى فى المجلس، نعم هناك عدة وعود نريد أن نتكئ عليها، نعم شفهي، كلمتكم، عندى ميثاق تحالف مقدس، نتقابل أين ومتى. أودعت السماعة ويداى مبللتان بالعرق والخجل، كان شعورى ينتفض من الاحساس بأننى لم أجد المناورة، نعم ها قد انزاح الكابوس الأسود، أمازالت لدينا فرصة أخري؟

والتنشين عليها جالسة..اكتسبت اسماً جديداً الآن.. ينتظران يطلقه عليها لو اقتضى الأمر.. ذات الكرسي..جاء دوره فى الدخول.. أسمعت كلماته ذات رئيس التحرير..لاحظ كم هو منتفخ الهيئة فى بذلة فاتحة متشبث بكرسيه خلف مكتب بيضاوي..لم يترك له فرصة فى كلام..اندفع كمدفع رشاش وكأنه يسمع محفوظات ..الكراسى ذهبت للتجديد فى شركة رياضكو لو احببت ان تتأكد وسوف يحضرون كراسى جديدة تماما للمحررين ورؤساء الأقسام وخلافه سعر الواحد أربعة آلاف جنيه لا تصيبك بالتهاب مفاصل ولا التواء ولاتشعرك بآلام الظهر والرقبة..وتحول إلى وضع أقل تحفزاً وهو يقول: ـ مصلحة الزملاء مهمة جداً لدى والكراسى القديمة ستعود مجددة وسوف توزع على الخدمات والأمن..

قاطعه : كيف نؤدى وظائفنا..كيف نكتب اذن؟

-: الحل بسيط ..نحن اخذنا كراسى المكتب فقط يمكن إن تجلس على الفوتيه والكنبة وتكتب على "ترابيزة تقديم الشاى والقهوة" حتى إنها من باب التجديد وكل ذلك مؤقت وستجد زملاء لك وكتابا ومبدعين بيكتبوا كذلك، كانت إجاباته حاضرة.. أكثر مما ينبغى.. فى أحوال كهذه يصح أن تبدأ بقول نأسف على إزعاجكم ولكن هو يفرغ كل الحلول البديلة.. بجدله الذى تمرس عليه فى الفضائيات..أصابه بصداع شديد.. خرج من مكتبه وقد أدارت الكلمات رأسه كما اللكمات فى مصارعة المحترفين.. وتدوى.. دى